اسباب تأخُّر الصناعة في سوريَّة

لجناب خليل افندي شاول (١)

قال بعضهم ان الوسائط الكثيرة التي يستخدمها الانسان لتحصيل معيشته تدخل تحت اربعة انواع سماها اسباب المعاش الاربع وهي الامارة والفلاحة والتجارة والصناعة . اما الامارة فليست بمذهب طبيعي للمعاش على ما قيل والفلاحة متقدمة عليها بالذات اذ هي بسيطة وطبيعية وقد تقوم بلا علم ولا نظر وان يكن العلم قد رقاها وبرقيها الى درجات سامية وهي اقدم اسباب المعاش . والتجارة قديمة ايضًا وقد ابتدأت بمقايضة السلع وارتقت بارتقاء الحضارة حتى بلغت النظام التجاري الشائع الآن في كل البلدان المتمدنة . واما الصناعة فهي محط رحال رجال الافكار ومطمح العقول والانظار هي التي شادت للعلم بيوتًا رفيعة العماد والفلاحة آلات استمالت بها العقاب الى امهاد وللتجارة سلمًا سارت بها الركبان في كل قطرٍ وناد . وهي التي فتحت المخلجان في كثير من الاقطار وغاصت على الدرّ فاخرجته من اعماق البحار واستخرجت من الرغام كنوز الطبيعة وامرت جيوش البخار فاجابتها سامعةً مطيعة . وانقادت اليها الكهربائية صاغرةً ذليلة ولم تضن على العالم بمكنونات اسرارها الجليلة . ولكن لسوء الطالع قد اهملتها بلادنا السورية بعد ان رفعت في الاعصر الخالية منارها وجنت من ثمارها الفقر والذل كما لا يخفى على احد . ولما كانت جمعيتنا هذه قد عرفت بعض ما نحن فيه من الفترة والاهمال نشطت من عقالها واستلفتت انظار اصحاب الغيرة ودعت بعض اصحاب الهمة لتلافي الحال فلبّى دعوتها قوم من الصنّاع الذين وان قصرت ذات يدهم الاّ انهم يؤمّلون بمساعدة ذوي النجدة الوطنية ورافعي منار الانسانية ان يمهدوا السبل الى رياض الصناعة حتى يدخلها رجال العلم والعمل ويغرسوا فيها اغراسًا تعود بالنفع على البلاد والعباد

وقد امرتني هذه الجمعية ان امثل بين ايديكم وان لم اكن اهلاً لذلك واخاطبكم بكلام من موضوع جمعيتنا فاخترتُ موضوعًا لكلامي "اسباب تأخُّر الصناعة في سورية" واني اتوسل اليكم ان تسمعوني بحلمكم

لتأخُّر الصناعة في بلادنا اسبابٌ كثيرةٌ وقد رأيت بعد النظر انها تُرَدُّ الى ثلاثة . وهي تأخر العلوم عندنا واحتقار وجهائنا للصنائع وعدم ثبات الصنّاع

اما من جهة السبب الاوّل اي تأخر العلوم الذي نتج عنه تأخر الصناعة فاقول ان الصناعة

(١) من خطبة تلاها في جمعية الصناعة في جلستها الاحتفالية

ملكة راسخة تقوم بمباشرة الاعمال ومزاولتها ولكن اتقان الاعمال والتفنن فيها يتوقفان على علم العامل ورسوخ ملكة العمل فيه . والصنائع نوعان بسيط ومركب فالبسيط يعمّ الصنائع المتعلقة بالضروريات التي لها حق السبق في المعاش وهذه لا تفتقر غالبًا الى العلوم وان افتقرت الى المعارف . والمركب يعمّ اكثر الصنائع الحديثة التي قلّلت اتعاب البشر وزادت راحتهم ورفاهتهم كعمل الآلات والادوات والمواد المركبة . واهم العلوم التي تحتاج اليها هذه الصنائع هو العلوم الرياضية والطبيعية فبهذه العلوم ارتقت صنائع الافرنج وبلغت ما بلغت من الاتقان وانتشرت مصنوعاتهم في الدنيا كلها وراجت سوقها وكسدت سوق غيرها . بهذه العلوم استطاع الافرنج ان يخترعوا كل يوم بل كل ساعة اختراعات تدهش الالباب . نعم ان ايدي الصنّاع هي التي تُخرج المصنوعات من القوة الى الفعل ولكن العلم هو الذي يحرّك ايديهم الى العمل . فنسبة العلم الى الصناعة نسبة العلّة الى المعلول . وربّ معترض يقول قد رأينا كثيرين من الصناع يجهلون العلوم التي ذكرتها كل الجهل وقد يجهلون القراءة والكتابة وهم مع ذلك بارعون في اعمالهم متقنون لمصنوعاتهم بل قد ينبهأ لبعضهم ان يستنبط اشياء جديدة لم يسبقه اليها احد . فاقول انه قد قام من بين الصنّاع والتجار ومن بين كل اصحاب الاعمال اناس تفرّدوا بجودة العقل وشدة المزاولة فاخترعوا اختراعات كثيرة ولكن هولاء قلائل والحكم على الاكثرين . ومع هذا كله لو كان هولاء القلائل متعلمين لكانت مخترعاتهم اكثر اتقانًا واعمّ نفعًا

هذا من قبيل السبب الاوّل اما السبب الثاني لتأخر صناعتنا وهو احتقار وجهائنا للصنائع فليسمح لي سادتي الوجهاء الحاضرون ان اوضح افكاري فيه لانه شديد الاهمية ولاننا اذا بقينا على هذا المنوال لا تبقى عندنا صناعة تُذكر . تعلمون سادتي ولا ازيدكم علمًا ان كل فرد من افراد الافرنج اهل الحزم يتعلم صناعة يختارها لنفسه بعد ان يتم دروسه اللازمة في المدارس . فاذا كان من الاغنياء تعاطى اشغاله ومارس صناعته في اوقات الفراغ وكثيرًا ما يستطيع بذلك ان يعمل اعمالاً نافعة له ولغيره او يخترع اختراعات مفيدة . وربما عبثت به الايام وجار عليه الزمان فتكون صناعته رأس مال له يعتمد عليها في تحصيل معاشه . واذا لم يكن من الاغنياء اي كان محتاجًا الى العمل لتحصيل المعاش يتعلّم حرفة عند عامل مشهور بها او في احدى المدارس او احد المعامل فيبرع فيها لان عقله يكون قد تثقّف بنور العلم . اما نحن فاغنياؤنا يحتقرون الصنائع واصحابها وفقراؤنا ليس لهم من الوسائط ما يساعدهم على اتقانها . وان هم اتقنوها لا يجدون من تنشيط الوجهاء ما يحرّك غيرهم الى التشبّه بهم لان الوجهاء يحتقرون الصناع ويبخسونهم حقوقهم ويحرمون اولادهم من تعلم الصنائع حال كونهم اشد افتقارًا على تعلمها من اولاد الفقراء

ويسوءنا ان نرى كثيرين من الشبان يجولون في الشوارع بعد خروجهم من المدارس ينتظرون خدمة عند احد التجار او في احد المجالس. فلو ارسلهم والدوهم الى اوربا بعد اكمال دروسهم ليتعلموا بعض الصنائع او علموهم بعض صنائع البلاد عند اربابها لتقدمت بتعلمهم الصناعة وكثرت فنونها. وكثيرًا ما رأيت هؤلاء الشبان يبدون ميلاً شديدًا الى بعض الصنائع حتى لو تُرِكوا الى ميلهم الطبيعي لظهرت منهم عجائب المصنوعات ولكن والديهم لا يسمحون لهم بتعلم الصنائع لانهم يحتقرون الصناعة واهلها. فيهلًا سادتي مهلًا. ابن العار على شاب نجيب مثقف العقل تعلم صناعة شريفة وزادها شرفًا باختراعاته واكتشافاته واشتهر اسمه وذاع صيته وراجت اعماله واتسعت دائرتها فاستخدم صناعًا كثيرين وادارهم بحكمته وحذقه. أليس ذلك اليق به وبنا من اهمال الصناعة والاعتماد على مصنوعات الافرنج

وعلى مَنْ ترى يتوقف نجاح الصنائع أعلى ذاك المسكين الذي لا يملك مضغة ولا يعي بلغة الذي يضعه ابوهُ عند مَنْ يعلمه حرفةً قبل ان يعلمه الحروف الهجائية. أيمكن لهذا المسكين ان يتقن الصناعة ويشتهر بها. ها ان مدينة بيروت مشحونة بالصناع في فنون مختلفة ولكن قلَّ مَن اتقن منهم صناعة حتى الاتقان. فنحن في اشد الاحتياج الى اهتمام وجهائنا بالصناعة وارسالهم بعض الشبان النجباء الى اوربا او اميركا ليتعلموا بعض الصنائع بحسب الطرق الجديدة. ويجب ان يكون هؤلاء الشبان من الذين تعلموا لغة او اكثر من اللغات الاوربية ودرسوا مبادئ العلوم الرياضية والطبيعية ليستفيدوا ما يعود عليهم وعلى بلادهم بالنفع الجزيل وعلى مرسليهم بالشرف الاثيل. واني اسأل الناقد البصير عفوًا عن افكار ما حرَّكني الى بثها الاَّ الحق وما الجأني الى ذكرها غير الواجب

والسبب الثالث والاخير لتأخر صناعتنا هو عدم ثبات الصناع * ان ابناء الامم الغربية اذا عمدوا الى شيء ضحوا نفوسهم ونفائسهم في طلبه وعندهم من علو الهمة ما يسهّل عليهم كل صعب ويدني كل قاص. فيهاجرون المخاطر والمصاعب مهاجمة الاسود ويتجشمون المتاعب لتطلب المنفعة والمجد وقد رفعوا لهم في ذرى الدر قصورًا واطلعوا في سماء المعارف والفنون اهلةً وبدورًا. غذاه ارواحهم طلب المجد وتغاه ابدانهم الكدُّ والجد. ضاقت بهم البسيطة فاتخذوا لهم نِقَفًا في الارض وسلالم في الهواء. كل ذلك ونحن في غاية الفترة والخمول اذا عدنا الى عمل لا نضحي فيه الاَّ اوقاتًا قصيرة نحسبها منَّة على الزمان وابنائه. لا نطيق تعبًا ولا نتجشم نصبًا. تمرُّ بنا الدقائق والساعات بل الايام والاعوام ونحن لاهون عن مستقبلنا. نشكو الفاقة وايدينا مغلولة وما يغلها الاَّ الكسل وعدم الثبات

فيا سادتي المشرِّفين اذا ثبت ان الصناعة فخر للبلاد فبكم وبامثالكم نؤمّل ان تُعزَّز اركانها

ونعدُّ تشريفكم حفلتنا هذه اكبر مساعد على تقوية روح الاتحاد فينا وتنشيط ايدينا على العمل فلا زلتم مظهر الفضل ومقال النجاح في عهد من اينعت في ايامه رياض المعارف مولانا وولي نعمتنا بلا امتنان السلطان الغازي عبد الحميد خان

الظواهر الفلكيَّة في شهر تشرين الثاني (نوفمبر)

تنبيه * يبتدئ اليوم الفلكيُّ الظهر من اليوم المدني وتحسب ساعاته من واحدة الى اربع وعشرين فما نقص منها عن اثنتي عشرة كان قبل نصف الليل وما زاد كان بعده

اليوم الفلكي	والساعة بالتقريب		
في ٤	١	♀ ♂ ♅	تقارن الزهرة باورانوس وتكون شماليه ٠° ٥٠′
في ٤	٦		يكون القمر في الاوج
في ٤	١٠	☿ ♂ الاعلى ☉	يقترن عطارد بالشمس اقترانه الاعلى
في ٥	١٧	♄ ♂ ☽	يقترن زحل بالقمر فيقع شماليه ٣° ٣٣′
في ٥	١٩	☿ في ♉	يكون عطارد في العقدة النازلة
في ١٠	٢٠	♃ ♂ ☽	يقترن المشتري بالقمر فيقع شماليه ٤° ٣٦′
في ١٢	١١	♇ ♂ ☍	يستقبل نبتون الشمس فيكون بينهما ١٨٠°
في ١٢	١٦		تكون الزهرة في نقطة الراس من فلكها
في ١٣	٣٠	♀ ♂ ☽	تقارن الزهرة بالقمر فتقع شماليه ٣° ١′
في ١٦			يكون عطارد في نقطة الذنب من فلكه
في ١٧	٢٣	☿ ♂ ☽	يقترن عطارد بالقمر فيقع جنوبيه ٥° ١٨′
في ١٩	٤	♂ ♂ ☽	يقترن المريخ بالقمر فيقع جنوبيه ٥° ٣٦′
في ١٩	١٧		يكون القمر في الحضيض
في ٢٦	٧	♃ □ ☉	يكون المشتري في التربيع مع الشمس فيكون بينهما ٩٠°

اوجه القمر

	اليوم	الساعة	الدقيقة تقريبًا	
○	٢	٢٣	٩	يكون القمر بدرًا
☾	٩	١٣	٣٥	يكون القمر في الربع الاخير
●	١٧	٨	٢٤	يكون القمر في المحاق
☽	٢٥	١٣	٢٩	يكون القمر في الربع الاول